هَمَسَاتُ الرُّوحِ

نصوص

رزان الرابي

همسات الروح

همسات الروح

نصوص

رزان الرابي

• همسات الروح

(خواطر)

• رزان الرابي

• طبعة أولى 2025

• الإخراج الفني: سمير اليوسف هاتف: 0799677569

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2025/7/3980)

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب:

عنوان الكتاب	: همسات الروح
تأليف	: الرابي، رزان نواف حلمي
بيانات النشر	: عمان: رزان نواف حلمي الرابي، 2025
الوصف المادي	: 100 صفحة
رقم التصنيف	: 819.9
الواصفات:	: /النصوص الأدبية //الخواطر الأدبية// الأدب العربي//العصر الحديث/
الطبعة	: الطبعة الأولى

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

• (ردمك): ISBN 978-9923-0-1861-3

• جميع الحقوق محفوظة للمؤلف. لا يُسمَح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبَق من المؤلف.

• All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior written permission of the author.

في كل همسةٍ، طريقٌ إلى القلب.
وفي كل صمت، مساحةٌ لتتنفّس فيه الروح

الإهداء

إلى أولئك الذين آمنوا بالكلمة،
حتى قبل أن تُقال،
إلى القلوب التي تقرأ بالصمت،
وتُصغي لما بين السطور.
إلى من عبَروا حياتي كنسمةٍ،
وتركوا أثرًا لا يُمحى.

إلى كلّ من سكن خواطري دون أن يدري،
وإلى من علّمني أنّ الحرف، حين يُكتب بصدق،
يُلامس أرواحًا لم نعرفها يومًا.

أهدي هذا الكتاب...
لكلّ قلبٍ يبحث عن دفء،
ولكلّ روحٍ تتوقُ إلى نبضٍ يشبهها،
ولكلّ قارئٍ جعل من صمتي صوتًا،
ومن همسي حياةً.

استهلال

حين تُولد الكلمة من رحم الصمت،

وحين تهمس المعاني في قلبٍ يكتب لا بمداد الحبر، بل بنبض الشعور،

تنشأ الخواطر.

هذا الكتاب ليس صفحاتٍ تُقلّب،

بل أنفاسًا كُتبت، ووجدانًا نُثر على السطور.

هو حديث القلب حين يفيض،

وصوت الروح حين تشتدّ حاجتها للبوح.

فيه تجدون الحرف حين يُعانق الروح،

والفقد حين يوشّح حضوره بالصمت،

والأمل وهو يُنبت من يبابِ اليأس زهرةَ حياة.

لم أكتب لأُعلّم،

بل كتبتُ لأُصغي إلى نفسي،

ثم أُهدي ما سمعته لكلِّ من مرّ بما يشبهني.

قد تجدون في هذه الخواطر وجوهكم،

أو ظلالَ حكاياتٍ نسيتموها،

أو حنينًا لم تُدركوا سببه.

فلتقرؤوها كما يُقرأ نبضُ حبيب،

وكما تُلمس أطرافُ حلم،

بعينٍ ترى ما وراء الكلمة،

وقلبٍ يُصدّق ما لا يُقال.

المقدمة

حين ولدتْ هذه الكلمات، لم تأتِ من فراغٍ ولا رغبةٍ في قولٍ عابر، بل خرجت من صمتٍ أقمتُ فيه طويلاً، ومن نبضٍ كان يلحّ على البوح حتى لو لم أكن أجيد الصياغة كما ينبغي. لم أكتب بالحبر، بل بشيءٍ يشبه النفس حين تختنق وتجد خلاصها في الكتابة.

هـذا الكتاب ليس مـجـرد صفحاتٍ وضعتُها بين غلافين، بـل هـو وجــدانٌ منثور، وأنـفـاسٌ سُـطّـرت، وحـديـثُ قلبٍ فـاض فلم يجد غير الـحـروف مـلاذًا. هنا، تجدونني في لحظات انكساري وامتلائي، في ضعفي وقوّتي، في حزني حين يتخفّى خلف الكلمات، وفي أملي حين يُزهر من يبابٍ داخليّ.

لم أكتب لأكون مُعلّمة أو ناصحة، بل لأُصغي إلى صوتٍ داخليّ خافت، ظلّ يطرق أبـواب الشعور حتى فُتحت. وحين سمعتُه، رغبتُ في أن أشاركه مع من مرّ ذات مساءٍ بما يشبهني، أو من تاه في حكايةٍ تُشبه ظلي.

ربما تجدون في هذه الخواطر جزءًا منكم، أو صدى قصةٍ نسيتم ملامحها، أو حنينًا لم تدركوا له اسمًا.

اقرأوها كما يُقرأ نبضُ من نحب، لا كما تُقرأ الكلمات في كتبٍ باردة.

لامسوها كما تُلمَس أطراف حلمٍ خجول، بعينٍ تتجاوز السطور، وقلبٍ يُصغي لما لا يُقال.

رزان الرابي

تقديم:

في ظلِّ المعنى

ليست هذه النصوص مجرد خواطر تُسجّل على عجل، بل هي مقاطع من تأمل داخلي طويل، خرجت من رحم الصمت، ومشت على أطراف الروح بحذر وشفافية. إنها كتابة تتأنّى، تهمس أكثر مما تصرخ، وتدعو القارئ لا إلى الفهم المباشر، بل إلى الإنصات العميق... كمن يضع أذنه على صدر العالم ليسمع ارتجافاته الخفية.

في هذه النصوص، تتكرر ظلال الكلمات لا لتفسّر، بل لتقترح. اللغة لا تُعلن المعنى بل تلمّح إليه، كما يلمّح الضوء لما خلف الجدار. فهنا، المعنى لا يُستخرج من ظاهر العبارة، بل يتشكل شيئًا فشيئًا في فضاء من التوق، من الأسئلة، ومن الصدى البعيد الذي يخلفه الحرف حين يسقط في ماء الذاكرة.

تتخذ رزان من المفردة موطئ تأمّل، ومن الصورة مرآة تنكسر فيها الحياة إلى شذرات. نقرأ عن «صمتٍ يتكئ على ظله»، وعن «مطرٍ يهمس للغياب»، وعن «كلماتٍ تندسّ في هوامش الروح»، فتتشكل أمامنا خريطة وجدانية متقلّبة، لا تؤمن باليقين قدر إيمانها بالبحث المستمر عن المعنى – أو عن ظله.

هنا، لا شيء مكتمل. لا عبارة تقول كل شيء، ولا جملة تُقفل المعنى. بل كل نصّ يشبه سؤالًا معلقًا في الهواء، كل صورة نافذة إلى أبعد مما يُقال. هذه نصوص كُتبت لتُعاد قراءتها لا لتُستهلك، تُقرأ بالبصر مرة، وبالبصيرة مرات.

من هنا، فإن «همسات الروح» لا تُشبه دفتر خواطر عابر، بل تُشبه نصًّا روحيًا مفتوحًا، يسعى ليكون مرآة لقلق القارئ، لهدوئه، لرحلته بين المعنى وظلّه، بين ما يُقال وما لا يُقال. في هذا السفر العميق، لا نجد الطريق مرسومًا، لكننا نجد أثر خطواتٍ حقيقية على الرمل، تدلّنا إلى حيث المعنى يتنفّس... في الظل.

سمير اليوسف

هَمَسَاتُ الْمَطَرِ عَلَى نَوَافِذِ الرُّوحِ

حينَ يَهْطِلُ الْمَطَرُ، لَا تَتَسَاقَطُ قَطَرَاتُهُ عَلَى الزُّجَاجِ وَحَسْبُ، بَلْ تَنْسَابُ خَفِيَّةً إِلَى أَعْمَاقِ الرُّوحِ، تَهْمِسُ لَهَا بِلُغَتِهَا الصَّامِتَةِ، تِلْكَ الَّتِي لَا يُدْرِكُهَا إِلَّا مَنْ سَكَنَ الْحَنِينُ قَلْبَهُ صَغِيرًا.

الْمَطَرُ هُوَ ذَاكَ الصَّدِيقُ الَّذِي لَا يُعْلِنُ حُضُورَهُ، بَلْ يَأْتِي عَلَى مَهْلٍ، يَخْتَرِقُ الْأُفُقَ بِهُدُوءٍ، لِيُبَدِّلَ سُكُونَ الْقَلْبِ إِلَى مُوسِيقَى تُعْزَفُهَا الذِّكْرَيَاتُ، وَتَتَرَاقَصُ عَلَيْهَا أَرْوَاحُنَا بِشَوْقٍ إِلَى مَا مَضَى.

تِلْكَ الْقَطَرَاتُ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ مَاءٍ...

بَلْ حِكَايَاتٌ تُرْوَى بِلَا كَلِمَاتٍ،

ذِكْرَيَاتٌ تَلُوحُ فِي الْبَعِيدِ، تَهْمِسُ لِلَّحَظَاتِ كَانَتْ تَفِيضُ بِعِطْرِ الْحَنَانِ، وَبِمَلْمَسِ الْبَرَاءَةِ، وَبِضَحِكَاتٍ لَا تَزَالُ أَصْدَاؤُهَا تَتَرَدَّدُ فِي زَوَايَا الْقَلْبِ.

وَحِينَ يَرْقُصُ الْمَطَرُ عَلَى زُجَاجِ نَافِذَتِي، أَرَى عَالَمًا آخَرَ،

عَالَمًا تَتَدَاخَلُ فِيهِ الْأَحْلَامُ مَعَ الْوَاقِعِ،

تَتَنَفَّسُ فِيهِ الْغُيُومُ، وَيُغَنِّي فِيهِ الصَّمْتُ، وَتُلَمْلِمُ فِيهِ الذَّاكِرَةُ شَتَاتَهَا بِرِفْقٍ.

رُبَّمَا فِي صَمْتِ الْمَطَرِ تَتَجَدَّدُ الْعُهُودُ،

وَتَتَسَامَحُ الْقُلُوبُ، وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ الْحُزْنِ الْمُؤَقَّتَةِ،

لَكِنَّهُ أَيْضًا يَفْضَحُ هَشَاشَتَنَا، وَيَكْشِفُ مَا تَوَارَى مِنْ رَغَبَاتٍ لَمْ نَجْرُؤْ يَوْمًا عَلَى الِاعْتِرَافِ بِهَا.

كَمْ رَغِبْتُ أَنْ أَعِيشَ تَحْتَ الْمَطَرِ، لَا لِأَبْتَلَّ فَقَطْ،

بَلْ لِأَغْسِلَ رُوحِي مِنْ غُبَارِ الْأَيَّامِ، وَمِنْ قَسْوَةِ اللَّحَظَاتِ،

لِأُجَدِّدَ الْعَهْدَ مَعَ ذَاتِي، وَأَعُودَ طِفْلَةً تُحَدِّقُ فِي السَّمَاءِ بِعَيْنَيْنِ وَاسِعَتَيْنِ، لَا تَتَمَنَّى شَيْئًا سِوَى أَنْ تُحَبَّ، وَأَنْ تُحِبَّ فَقَطْ.

فِي حَضْرَةِ الْمَطَرِ، تَغْدُو الْكَلِمَاتُ زَائِدَةً،

فَالْهَمَسَاتُ الَّتِي تَطْرُقُ النَّوَافِذَ تَكْفِي،

تَحْمِلُ فِي سُكُونِهَا لُغَةَ النَّقَاءِ، وَصَفَاءَ الْعَوْدَةِ إِلَى الْبِدَايَةِ.

تُعَلِّمُنِي أَنْ أَكُونَ حَاضِرَةً، أَنْ أَسْتَقْبِلَ اللَّحْظَةَ كَأَنَّهَا نِعْمَةٌ،

وَأَنْ أُحِبَّ... بِلَا شُرُوطٍ، وَلَا قَيْدٍ.

وَهَكَذَا، حِينَ يَهْمِسُ الْمَطَرُ عَلَى نَوَافِذِ رُوحِي،

لَا يَكُونُ مُجَرَّدَ هُطُولٍ،

بَلْ وِلَادَةٌ مُتَجَدِّدَةٌ،

وَشَهَادَةٌ أَنَّنِي لَا أَزَلْتُ هُنَا: أَتَنَفَّسُ، وَأَكْتُبُ، وَأَحْلَمُ.

شَجَرَةُ الْأَمَانِي فِي غَابَةِ الصَّمْتِ

فِي عُمْقِ غَابَةِ الصَّمْتِ، حَيْثُ لَا يُسْمَعُ سِوَى هَمَسَاتِ الرِّيحِ وَهِيَ تُدَاعِبُ أَغْصَانَ الْأَشْجَارِ، تَنْمُو شَجَرَةٌ وَحِيدَةٌ... شَجَرَةُ الْأَمَانِي.

لَيْسَتْ كَغَيْرِهَا مِنَ الْأَشْجَارِ الَّتِي تَرْوِي حِكَايَاتِ الْعَابِرِينَ، بَلْ تَحْمِلُ أَغْصَانُهَا أَحْلَامًا مُعَلَّقَةً، وَتَتَنَفَّسُ أَوْرَاقُهَا أُمْنِيَاتٍ تَنْتَظِرُ مَنْ يُمْنَحُهَا ضَوْءًا وَاهْتِمَامًا.

تِلْكَ الشَّجَرَةُ، رَغْمَ وَحْدَتِهَا وَهُدُوءِ الْغَابَةِ مِنْ حَوْلِهَا، لَا تَمَلُّ الِانْتِظَارَ، وَلَا تَفْقِدُ الْأَمَلَ.

كُلُّ وَرَقَةٍ فِيهَا تَحْمِلُ وَعْدًا بِأَنَّ الْغَدَ قَدْ يَكُونُ أَجْمَلَ، وَأَنَّ لِكُلِّ حُلْمٍ بَذْرَةً، لَا تَحْتَاجُ سِوَى لِلرِّعَايَةِ كَيْ تُزْهِرَ وَتُثْمِرَ.

هِيَ تُدْرِكُ أَنَّ الصَّمْتَ لَيْسَ خَوَاءً، بَلْ تُرْبَةٌ خَصِبَةٌ لِلنُّمُوِّ.

كُنْتُ أَقْتَرِبُ مِنْهَا أَحْيَانًا، أَلْمَسُ لِحَاءَهَا الْبَارِدَ، فَأَشْعُرُ بِصَقِيعِ التَّجَارِبِ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا، لَكِنِّي أَرَى فِي عُرُوقِهَا

نَبْضًا خَفِيًّا لَا يَشِيخُ.

تِلْكَ الشَّجَرَةُ لَا تُسْقِطُ أَوْرَاقَهَا عَبَثًا؛ بَلْ لِتَغْرِسَ بِهَا بُذُورًا جَدِيدَةً فِي عُمْقِ الْأَرْضِ، تُتَحَدَّى بِهَا الزَّمَنَ، وَتُقَاوِمُ بِهَا نِسْيَانَ الْأَمَانِي.

عَلَّمَتْنِي شَجَرَةُ الْأَمَانِي كَيْفَ أَزْرَعَ أَحْلَامِي فِي الصَّمْتِ، وَأَصْبِرَ عَلَى نُمُوِّهَا بِبُطْءٍ وَثَبَاتٍ، دُونَ صُـرَاخٍ، دُونَ اسْتِعْجَالٍ، وَدُونَ أَنْ أُرْهِقَ قَلْبِي بِمَطَالِبَ عَابِرَةٍ.

فَكُلُّ وَرَقَةٍ تَسْقُطُ لَيْسَتْ خَسَارَةً، بَلْ خُطْوَةٌ نَحْوَ نُضْجٍ أَعْمَقَ، وَاتِّزَانٍ أَهْدَأَ.

فِي هَذِهِ الْغَابَةِ، حَيْثُ لَا يَهْمِسُ إِلَّا الْقَلِيلُونَ، أَدْرَكْتُ أَنَّ الْأَمَانِيَ لَا تَحْتَاجُ إِلَى ضَجِيجٍ كَيْ تَتَحَقَّقَ، بَلْ إِلَى صَبْرٍ، وَإِيمَانٍ، وَإِصْغَاءٍ حَقِيقِيٍّ لِصَوْتِ الْقَلْبِ، حَتَّى وَإِنْ جَاءَ خَافِتًا.

وَهَكَذَا، تَبْقَى شَجَرَةُ الْأَمَانِي، فِي قَلْبِ هَذِهِ الْغَابَةِ، أَكْثَرَ مِنْ مُجَرَّدِ شَجَرَةٍ...

إِنَّهَا رَمْزٌ لِكُلِّ نَفْسٍ صَامِدَةٍ،

وَلِكُلِّ حُلْمٍ لَا يَذْبُلُ،

وَلِكُلِّ قَلْبٍ يُؤْمِنُ بِأَنَّ الصَّمْتَ قَدْ يَكُونُ بِدَايَةً لِكُلِّ شَيْءٍ جَمِيلٍ.

هَمْسُ الفَجْرِ بَيْنَ أَنَامِلِ الحُلْمِ

حينَ يَزْحَفُ الفَجْرُ بَيْنَ أَنَامِلِ الحُلْمِ، يَنْفَتِحُ العالَمُ على صَفْحَةٍ ناصِعَةٍ، تَكْتُبُ فيها الرُّوحُ أُولَى حُرُوفِهَا بِيَقِينِ الأَحْلَامِ الَّتِي لا تَعْرِفُ حُدُودًا.

الفَجْرُ لَيْسَ مُجَرَّدَ نُورٍ يَتَسَلَّلُ إِلَى الغُرَفِ، بَلْ هُوَ وَعْدٌ يَنْبِضُ في القَلْبِ، هَمْسَةٌ في صَمْتِ الكَوْنِ، تَقُولُ لَنَا: «ابْدَأْ مِنْ جَدِيدٍ».

هُوَ زَمَنٌ يُشْبِهُ أَنْ تَهْمِسَ لَكَ الحَيَاةُ: «لا تَخَفْ، أَنَا مَعَكَ، وَمَا يَنْتَظِرُكَ أَجْمَلُ مِمَّا مَضَى».

إِنَّهُ ثَمَرَةُ صَبْرٍ طَوِيلٍ، وَبَذْرَةُ أَمَلٍ تُزْهِرُ في عَتْمَةِ اللَّيْلِ، وَنَبْضُ تَفَاؤُلٍ يَنْمُو في القُلُوبِ المُنْتَظِرَةِ.

أَعْشَقُ ذَاكَ الوَقْتَ الَّذِي تَخْرَسُ فِيهِ الأَصْوَاتُ، فَيُصْبِحُ الصَّمْتُ لُغَةً رَاقِيَةً، وَالِانْتِظَارُ إِيقَاعًا دَاخِلِيًّا، وَالهُدُوءُ احْتِفَالًا خَفِيًّا بِالحَيَاةِ.

حِينَهَا أُغْمِضُ عَيْنَيَّ، وَأَتَنَفَّسُ بِعُمْقٍ، مُسْتَقْبِلَةً طَاقَاتٍ تَتَسَلَّلُ إِلَى أَعْمَاقِي، وَتُحَرِّرُنِي مِنْ غُبَارِ الأَمْسِ.

في هَمْسِ الفَجْرِ، لا تَحْتَاجُ الأَحْلَامُ إِلَى ضَوْضَاءَ، وَلا تَحْتَاجُ البِدَايَاتُ إِلَى خُطُوَاتٍ وَاسِعَةٍ؛

يَكْفِي أَنْ تَبْدَأَ بِخُطْوَةٍ صَغِيرَةٍ، يَقُودُهَا قَلْبٌ وَاثِقٌ، لا يَعْرِفُ الانْكِسَارَ.

هُنَاكَ، بَيْنَ أَنَامِلِ الحُلْمِ، يُولَدُ اليَوْمُ الجَدِيدُ،

تَتَشَكَّلُ الرَّغَبَاتُ، وَتُزْهِرُ الأُمْنِيَاتُ.

فَلْيَكُنِ الفَجْرُ رَفِيقَكَ الدَّائِمَ، مُلْهِمَكَ الصَّامِتَ، وَمِرْآتَكَ الَّتِي تُذَكِّرُكَ بِأَنَّكَ، رَغْمَ كُلِّ شَيْءٍ، مَا زِلْتَ بَدَايَةً.

ظِلُّ الطَّائِرِ فِي رَقْصَةِ الضَّوْءِ

يَرْقُصُ الطَّائِرُ بِظِلٍّ لا يُرَى إِلَّا لِمَنْ يَعْرِفُ كَيْفَ يُحَدِّقُ بِالرُّوحِ.

هُوَ ظِلٌّ خَفِيفٌ، لَكِنَّهُ يَحْمِلُ كُلَّ انْسِيَابِ السَّمَاءِ، وَكُلَّ نِدَاءَاتِ الرَّحِيلِ الَّتِي لَا تَعْرِفُ مُسْتَقَرًّا.

رَقْصَةُ الضَّوْءِ عَلَى جَنَاحِ الطَّائِرِ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ لُعْبَةٍ عَابِرَةٍ،

بَلْ هِيَ رِسَالَةٌ صَامِتَةٌ تَقُولُ:

«إِنَّ الْحُرِّيَّةَ لَا تُقَاسُ بِالْمَكَانِ، بَلْ بِالرُّوحِ الَّتِي تُحَلِّقُ فَوْقَ كُلِّ قَيْدٍ.»

وَحِينَ يَنْسَابُ الظِّلُّ إِلَى الْأَرْضِ، لَا يَكُونُ مُجَرَّدَ ظِلٍّ،

بَلْ يُصْبِحُ قِصَّةً تُرْوَى بِحَرَكَةِ الْجَنَاحِ،

حِكَايَةً عَنِ الإِصْرَارِ عَلَى الطَّيَرَانِ، رَغْمَ ثِقَلِ الْأَيَّامِ، وَرَغْمَ الْغُيُومِ الَّتِي تَتَكَاثَفُ فِي الْأَعَالِي.

أَحْيَانًا، أَجِدُنِي فِي هَذَا الظِّلِّ،

أَرْقُصُ بِشَغَفٍ مَعَ مَا يُحَاصِرُنِي،

أَبْحَثُ عَنْ شُعَاعٍ صَغِيرٍ،

وَأَتَعَلَّمُ كَيْفَ أَتْرُكَ أَعْبَائِي خَلْفِي، وَأُحَلِّقَ بِأَجْنِحَةٍ مِنْ ضَوْءٍ.

ظِلُّ الطَّائِرِ لَيْسَ مُجَرَّدَ امْتِدَادٍ بَاهِتٍ،

بَلْ هُوَ مِرْآةٌ لِلْأَمَلِ،

وَرَغْبَةٌ لَا تُقْهَرُ فِي أَنْ تَكْتُبَ حَيَاتَكَ بِأَلْوَانِكَ، لَا بِمَا يَرْسُمُهُ لَكَ الآخَرُونَ.

لَوْحَةُ الْغُرُوبِ عَلَى جُدْرَانِ الْقَلْبِ

الْغُرُوبُ لَيْسَ نِهَايَةً، بَلْ لَوْحَةٌ تَنْبِضُ عَلَى جُدْرَانِ الْقَلْبِ بِأَلْوَانٍ لَا تُنْسَى،

تُذَكِّرُنَا أَنَّ لِكُلِّ خِتَامٍ بِدَايَةً أُخْرَى، وَأَنَّ الْغِيَابَ لَا يَمْنَعُ الشُّرُوقَ.

حِينَ تُلَامِسُ الشَّمْسُ الْأُفُقَ، تَشْتَعِلُ السَّمَاءُ بِأَطْيَافٍ دَافِئَةٍ:

أَحْمَرُ كَلَهِيبِ الشَّوْقِ، وَبُرْتُقَالِيٌّ يُعَانِقُ الذِّكْرَى، وَذَهَبِيٌّ يُنْثَرُ كَخُيُوطِ حُلْمٍ لَمْ يَكْتَمِلْ.

أَنْظُرُ إِلَى الْغُرُوبِ، فَأَرَى فِي كُلِّ لَوْنٍ حِكَايَةً، وَفِي كُلِّ ظِلٍّ إِحْسَاسًا.

هِيَ لَحْظَةُ سُكُونٍ، تَنْسَابُ فِيهَا الْأَفْكَارُ كَجَدَاوِلَ، وَتُغْلَقُ الْأَبْوَابُ الثَّقِيلَةُ بِرِفْقٍ.

عَلَى جُدْرَانِ قَلْبِي، يَتْرُكُ الْغُرُوبُ أَثَرًا لَا يُمْحَى،

عَلَّمَنِي كَيْفَ أُوَدِّعُ بِصَبْرٍ، وَأَسْتَقْبِلُ بِتَفَاؤُلٍ،

كَيْفَ أَرْضَى بِمَا مَضَى، وَأَرْجُو مَا سَيَأْتِي.

عَلَّمَنِي الْغُرُوبُ أَنْ أَتْرُكَ لِلْأَيَّامِ أَنْ تَمْضِي،

أَنْ أَفْتَحَ ذِرَاعَيَّ لِلَّيْلِ، لَا خَوْفًا، بَلِ اسْتِعْدَادًا لِيَوْمٍ جَدِيدٍ، وَحُلْمٍ جَدِيدٍ، وَاحْتِمَالٍ لَا يَنْتَهِي.

فِي لَوْحَةِ الْغُرُوبِ، أَضِيعُ أَحْيَانًا،

لَكِنَّنِي أَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّنِي سَأَجِدُ طَرِيقِي،

حِينَ تَهْمِسُ السَّمَاءُ مِنْ جَدِيدٍ، وَتَعُودُ أَنَامِلُ الْفَجْرِ.

رَقْصَةُ الْأَلْوَانِ فِي زَمَنٍ بِلاَ اسْمٍ

فِي زَمَنٍ لَا يَحْمِلُ اسْمًا،

تَتَرَاقَصُ الْأَلْوَانُ كَمَا لَوْ كَانَتْ مُوسِيقَى حُرَّةً، بِلاَ وِزْنٍ وَلَا قَيْدٍ،

تَتَمَايَلُ بَيْنَ الضَّوْءِ وَالظِّلِّ، بَيْنَ اللَّحْظَةِ وَلَحْظَةٍ،

كَأَنَّهَا تَهْمِسُ بِلُغَةٍ لَا يَسْمَعُهَا إِلَّا الْقَلْبُ الْعَاشِقُ لِلْجَمَالِ.

حِينَ تَتَدَاخَلُ الْأَلْوَانُ، لَا يَبْقَى أَيٌّ مِنْهَا لَوْنًا فَحَسَبْ،

بَلْ تَتَحَوَّلُ إِلَى إِحْسَاسٍ، وَذِكْرَى، وَأَمَلٍ يَتَوَهَّجُ فِي قَلْبِ الْوَقْتِ.

هِيَ لَحْظَةُ النَّشْوَةِ الَّتِي تَعْرِفُهَا الْأَرْوَاحُ الْمُتَحَرِّرَةُ،

حِينَ يُعَانِقُ الْأَزْرَقُ اتِّسَاعَ السَّمَاءِ، وَيُغَنِّي الْأَحْمَرُ دَفْءَ الْحَيَاةِ،

وَيَبْتَسِمُ الْأَخْضَرُ بِوَعْدٍ لَا يَخْبُو.

فِي هذَا الزَّمَنِ الْغَرِيبِ، لَا بَدَايَةَ وَلَا نِهَايَةَ،

الرَّقْصَةُ مُسْتَمِرَّةٌ، وَالنَّبْضُ لَا يَغِيبُ،

وَكُلُّ لَحْظَةٍ فُرْصَةٌ جَدِيدَةٌ لِبَهْجَةٍ مُخْتَلِفَةٍ.

رَقْصَةُ الْأَلْوَانِ تَقُولُ لَنَا إِنَّ الْحَيَاةَ لَيْسَتْ مَا يُرَى فَقَطْ،

بَلْ مَا يُعَاشُ حِينَ نُغْمِضُ أَعْيُنَنَا،

وَنُطْلِقُ لِلْخَيَالِ جَنَاحَيْنِ.

وَهكَذَا، فِي زَمَنٍ لَا يَحْمِلُ اسْمًا، تَعَلَّمْتُ أَنْ أَكُونَ نَفْسِي،

بِكُلِّ مَا فِيَّ مِنْ تَنَاقُضَاتٍ،

بِكُلِّ أَلْوَانِي الَّتِي لَا تُشْبِهُ أَحَدًا،

وَبِحُرِّيَّتِي الَّتِي لَا تُقَاسُ، وَلَا تُرَوَّضُ.

أُغْنِيَةُ الرِّمَالِ فِي صَحْرَاءِ الذَّاكِرَةِ

فِي صَحْرَاءِ الذَّاكِرَةِ، حَيْثُ تَتَمَايَلُ الرِّمَالُ بَرِقَّةٍ مَعَ نَسِيمٍ عَتِيقٍ، تُنْشِدُ الْأَرْضُ أُغْنِيَةً لَا يَسْمَعُهَا إِلَّا مَن أَتْقَنَ لُغَةَ الزَّمَنِ.

الرِّمَالُ لَيْسَتْ ذَرَّاتٍ وَحَسَبْ، بَلْ سَرْدِيَّاتٌ دُفِنَتْهَا الشَّمْسُ، وَذِكْرَيَاتٌ انْصَهَرَتْ فِي صَمْتِ الْأُفُقِ الْلَا مُنْتَهِي.

كُلُّ حَبَّةِ رَمْلٍ تَهْمِسُ بِحِكَايَةٍ:

عِشْقٍ قَدِيمٍ، فِرَاقٍ مُعَلَّقٍ، أَوْ فَرَحٍ عَابِرٍ يَلُوّحُ مِنْ ضَوْءِ غُرُوبٍ بَعِيدٍ.

فِي هذِهِ الصَّحْرَاءِ، لَا يُقَاسُ الْوَقْتُ بِالسَّاعَاتِ، بَلْ بِاللَّحَظَاتِ الَّتِي تَسْكُنُ الْقَلْبَ وَتُحَرِّكُ نَهْرَ الْحَنِينِ.

تِلْكَ الْأُغْنِيَةُ الَّتِي تُغَنِّيهَا الرِّمَالُ،

هِيَ لَحْنُ الْحَيَاةِ نَفْسِهَا،

لَحْنُ الصَّبْرِ وَالِانْتِظَارِ،

وَالْقُوَّةِ الَّتِي تَنْمُو فِي جَفَافِ الْأَيَّامِ،

لَحْنُ الْأَمَلِ الَّذِي لَا يَشِيخُ، مَهْمَا طَالَ الشِّتَاءُ.

وَبَيْنَ الْكُثْبَانِ الصَّامِتَةِ،

أَتَمَايَلُ كَالرِّمَالِ، أَذُوبُ وَأَتَجَدَّدُ،

أَتَعَلَّمُ أَنَّ لِكُلِّ مَرْحَلَةٍ مُوسِيقَاهَا،

وَأَنَّ الذَّاكِرَةَ لَيْسَتْ عِبْئًا، بَلْ كَنْزًا بِنَفَسِ الْمَاضِي الْعَذْبِ.

وَهَكَذَا، فِي صَحْرَاءِ الذَّاكِرَةِ،

تَنْبَعِثُ أُغْنِيَتِي،

بِصَوْتٍ خَافِتٍ لَكِنَّهُ حَاضِرٌ،

يُذَكِّرُنِي بِأَنَّنِي مَا زِلْتُ أَحْلَمُ، وَأَتَنَفَّسُ، وَأَكْتُبُ.

نَبْضُ الْحَجَرِ تَحْتَ أَنْفَاسِ الرِّيحِ

مَا أَغْرَبَ أَنْ يَنْبِضَ الْحَجَرُ بِصَمْتٍ،

تَحْتَ أَنْفَاسِ رِيحٍ لَا تُمْسَكُ،

تُدَاعِبُهُ، تَمُرُّ بِهِ، وَتَحْمِلُ قِصَصًا لَمْ تُرَوَ،

وَذِكْرَيَاتٍ نَحَتَهَا الزَّمَنُ بِلاَ ضَجِيجٍ.

الْحَجَرُ، هذَا الْكَائِنُ الصَّامِتُ،

لَا يَشْكُو وَلَا يَتَذَمَّرُ،

يَخْفِي فِي أَعْمَاقِهِ نَبْضًا خَفِيًّا،

يَنْبَعُ مِنْ رَحِمِ الْأَرْضِ، وَيُعَلِّمُنَا أَنَّ الصَّلَابَةَ قَدْ تَكُونُ حَنَانًا خَافِتًا.

الرِّيحُ تَلَامِسُهُ كَأَنَّهَا تُوقِظُهُ مِنْ سَبَاتِهِ الطَّوِيلِ،

تُذَكِّرُهُ أَنَّ الْحَيَاةَ مَا زَالَتْ هُنَا،

تَنْتَظِرُ مَنْ يَكْسِرُ الصَّمْتَ،

وَيُصْغِي لِنَبْضِ الْقَلْبِ الصَّامِدِ.

عَلَّمَنِي الْحَجَرُ أَنْ أَكُونَ صَامِدَةً،

أَنْ أَحْتَمِلَ الْعَوَاصِفَ،

أَنْ أَجْمَعَ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرِّقَّةِ،

بَيْنَ السُّكُوتِ وَالنُّطْقِ،

وَبَيْنَ التَّرَيُّثِ وَالْاِنْدِفَاعِ.

وَفِي كُلِّ هَمْسَةِ رِيحٍ،

أَشْعُرُ أَنَّ الْحَجَرَ دَاخِلِي يَنْبِضُ،

بِالْأَمَلِ، بِالصَّبْرِ، وَبِقُوَّةٍ لَا تُرَى،

لَكِنَّهَا تَحْيَا.

زَخَّاتُ الْحِبْرِ عَلَى صَفَحَاتِ الصَّمْتِ

تَسْقُطُ الرِّيحُ زَخَّاتِ الْحِبْرِ عَلَى صَفَحَاتِ الصَّمْتِ،

كَأَنَّهَا تَكْتُبُ بِلُغَةٍ لَا تُقْرَأُ، بَلْ تُشْعِرُ وَتُلْهِمُ.

فِي ذَلِكَ السُّكُونِ الْعَمِيقِ،

تَتَجَمَّعُ الْأَفْكَارُ كَقَطَرَاتِ حِبْرٍ،

تُشَكِّلُ لَوْحَاتٍ مِنَ الْمَعَانِي الْخَفِيَّةِ.

الصَّمْتُ لَيْسَ فَرَاغًا،

بَلْ فَضَاءٌ تُولَدُ فِيهِ الْأَحْلَامُ،

وَيَتَحَوَّلُ فِيهِ الْحِبْرُ إِلَى تَعْوِيذَةٍ،

تُحَرِّرُ مَا خُزِّنَ فِي الرُّوحِ، وَتُضِيءُ الْعَقْلَ.

أُعْشِقُ تِلْكَ اللَّحَظَاتِ الَّتِي يَتَسَلَّلُ فِيهَا الْحِبْرُ،

حِينَ أَكُونُ وَحْدِي، وَأَدَعُ الْقَلْبَ يَتَكَلَّمُ بِصَمْتِهِ،

حَيْثُ يَتَحَوَّلُ الْأَلَمُ إِلَى قَصِيدَةٍ،

وَالْهَمْسُ إِلَى أُغْنِيَةٍ.

كُلُّ قَطْرَةِ حِبْرٍ تَحْكِي رِوَايَةً،

وَكُلُّ كَلِمَةٍ تُكْتَبُ فِي الصَّمْتِ،

هِيَ حَيَاةٌ جَدِيدَةٌ،

وَأَمَلٌ يُزْرَعُ فِي تُرْبَةِ الرُّوحِ،

لِيُزْهِرَ، رَغْمَ كُلِّ شَيْءٍ.

خُيُوطُ الشَّمْسِ الْمُتَسَلِّلَةِ بَيْنَ الْأَضْلَاعِ

حينَ تتسلَّلُ خُيوطُ الشَّمسِ بينَ أضلاعي،

تُذيبُ بَرْدًا مُتراكمًا مِن الغُربةِ،

وتُحيي زوايا رُوحٍ مُنطفئةٍ،

لتقولَ لي: إنَّ الحياةَ، رغمَ قسوتِها،

ما زالتْ تحتفظُ بشيءٍ مِنَ النُّورِ.

ليستْ تلكَ الخُيوطُ مُجرَّدَ ضوءٍ،

بل رسائلُ خفيَّةٌ،

وهمساتٌ مِن سماءٍ بعيدةٍ،

تُذكِّرُني أنَّ الفجرَ لا يموتُ،

وأنَّ النهارَ لا يخونُ وعدَهُ.

مع كلِّ إشراقٍ،

أشعرُ أنَّني أُولَدُ مِن جديدٍ،

قادرةٌ على مُواجهةِ الماضي،

وأنْ أكونَ «أنا»... بكلِّ ما فيَّ مِن ضَعفٍ وقوَّةٍ.

تعلَّمتُ أنْ أفتحَ صدري لتلكَ الخُيوطِ،

أنْ أتركَها تُدفِّئُني،

تَغسِلَني مِن الداخلِ،

وتُعيدَ لي وهجَ الحياةِ.

عُبُورُ النُّجُومِ فِي بُحَيْرَةِ اللَّيْلِ

في بُحيرةِ اللَّيلِ السَّاكِنَةِ،

تَتراقصُ النُّجُومُ كأنَّها شَظايا ضَوءٍ تَبحرُ على سَطحِ السُّكُونِ.

كلُّ نَجمَةٍ تَمُرُّ، تَترُكُ أَثَرًا مِن الأَمَلِ،

تُذَكِّرُنِي أَنَّ لِلظُّلْمَةِ قَنادِيلَ خَفِيَّةً،

تُضِيءُ لِمَن تَجَرَّأَ عَلَى التَّأَمُّلِ.

اللَّيلُ لَيْسَ غِيابًا لِلنُّورِ،

بَلْ مَسْرَحٌ لِلْعُبُورِ،

حَيْثُ تَصْمُتُ الأَصْوَاتُ،

وَتَتَكَلَّمُ الأَرْوَاحُ بِلُغَتِهَا الصَّافِيَةِ.

أَعْشَقُ عُبُورَ النُّجُومِ،

أَرَاهَا أَحْلَامًا تَنْتَظِرُ الْوِلَادَةَ،

كُلُّ وَمْضَةِ ضَوْءٍ، قِصَّةٌ تُنْسَجُ،

وَحِينَ أُغْمِضُ عَيْنَيَّ،

أُعَانِقُ صَمْتَ اللَّيْلِ،

وَأَتَنَفَّسُ الْحُلْمَ.

فِي بُحَيْرَةِ اللَّيْلِ،

تَعَلَّمْتُ الصَّبْرَ،

وَأَنْ أَتْرُكَ لِلنُّورِ طَرِيقَهُ إِلَيَّ،

فَكُلُّ عُبُورِ نَجْمَةٍ،

وَعْدٌ بِالْفَجْرِ الآتِي.

لُغْزُ الثَّلْجِ فِي حِضْنِ الصَّبَاحِ

الثَّلْجُ... هَذَا اللُّغْزُ الأَبْيَضُ،

يَحْتَضِنُ الصَّبَاحَ بِصَمْتٍ نَقِيٍّ،

كَأَنَّهُ حِكَايَةٌ لَا تُرْوَى بِالْكَلِمَاتِ،

بَلْ تُحَسُّ، وَتُرَى بِعُيُونِ الْقَلْبِ.

حِينَ يَسْقُطُ، يَتَوَقَّفُ الْعَالَمُ لَحْظَةً،

يَخْفُتُ الضَّجِيجُ،

تَتَحَوَّلُ الْأَرْضُ إِلَى صَفْحَةٍ جَدِيدَةٍ،

تُخْفِي الْأَلَمَ، وَتَسْتُرُ الْحَنِينَ.

فِي ذَلِكَ الْحِضْنِ الْبَارِدِ،

أَرَى نَفْسِي بِلَا أَقْنِعَةٍ،

نَقِيَّةً كَنَدَى،

هَشَّةً كَنَسْمَةٍ،

لَكِنِّي أَمْلِكُ فِي دَاخِلِي قُدْرَةَ التَّجَدُّدِ.

عَلَّمَنِي الثَّلْجُ أَنَّ الصَّفْحَ لَيْسَ ضَعْفًا،

وَأَنَّ الْبَيَاضَ لَا يَعْنِي نِسْيَانَ التَّجْرِبَةِ،

بَلْ هُوَ بِدَايَةٌ،

وَمِسَاحَةٌ لِغَرْسِ الْأَمَلِ مِنْ جَدِيدٍ.

سِيمْفُونِيَّةُ الظِّلَالِ فِي غَابَةِ الْأَحْلَامِ

فِي غَابَةِ الْأَحْلَامِ،

تَتَرَاقَصُ الظِّلَالُ عَلَى أَنْغَامٍ لَا يَسْمَعُهَا إِلَّا الْقَلْبُ،

سِيمْفُونِيَّةٌ خَفِيَّةٌ، تُعْزَفُ عَلَى أَوْتَارِ الذَّاكِرَةِ.

الظِّلَالُ هُنَاكَ لَيْسَتْ غِيَابًا لِلضَّوْءِ،

بَلْ حُضُورٌ آخَرُ،

يَحْمِلُ أَسْرَارَ الرُّوحِ، وَدَهْشَةَ النَّفْسِ.

كُلُّ ظِلٍّ نَغْمَةٌ،

تُكْمِلُ الْأُخْرَى فِي انْسِجَامٍ غَرِيبٍ،

تُعَلِّمُنَا أَنْ نَحْتَضِنَ الْمَجْهُولَ،

وَأَنْ نَثِقَ بِمَا لَا يُرَى.

كَثِيرًا مَا أَضِيعُ بَيْنَ الظِّلَالِ،

تُحَاصِرُنِي بِأَسْرَارِهَا،

تُرْعِبُنِي، وَتُحَرِّرُنِي،

فَأَجِدَ نَفْسِي أَقْرَبَ مَا أَكُونُ إِلَى ذَاتِي.

فِي غَابَةِ الْأَحْلَامِ،

تُصْبِحُ الظِّلَالُ مُوسِيقَى الْحَيَاةِ،

تُذَكِّرُنَا أَنْ لَا نُورَ بِلَا ظِلٍّ.

تَرَانِيمُ الْقَلْبِ فِي زَمَنِ الْغُرْبَةِ

حِينَ يَغِيبُ الْوَطَنُ،

يَتَحَوَّلُ الْقَلْبُ إِلَى غَرِيبٍ فِي جَسَدٍ مَأْلُوفٍ،

وَتَبْدَأُ التَّرَانِيمُ الدَّاخِلِيَّةُ تُغَنِّي فِي زَوَايَا الرُّوحِ.

الْغُرْبَةُ لَيْسَتْ مَكَانًا بَعِيدًا فَقَط،

بَلْ شُعُورٌ بِالِابْتِعَادِ عَنِ الذَّاتِ،

حَيْثُ يَكْبُرُ الْعَالَمُ، وَتَصْغُرُ الْقُلُوبُ.

فِي هَذَا الزَّمَنِ،

تَعَلَّمْتُ أَنْ أُغَنِّيَ تَرَانِيمِي وَحْدِي،

بِلَا جُمْهُورٍ، بِلَا صَدًى،

تَنْمُو دَاخِلِي، وَتُضِيءُ لِي دُرُوبَ الْعَوْدَةِ إِلَى ذَاتِي.

هَذِهِ التَّرَانِيمُ،

تُخْبِرُنِي أَنَّنِي مَا زِلْتُ حَيَّةً،

وَأَنَّ فِي دَاخِلِي وَطَنًا لَا يُهْجَرُ،

وَأَنَّ الْغُرْبَةَ لَا تُضْعِفُنِي،

بَلْ تُعِيدُنِي أَقْرَبَ، أَقْوَى، وَأَصْدَقَ.

سَرَابُ الْكَلِمَاتِ فِي وَادِي الزَّمَنِ

فِي وَادِي الزَّمَنِ الْمُمْتَدّ،

تَتَرَاقَصُ الْكَلِمَاتُ كَسَرَابٍ،

تُغْوِينَا، ثُمَّ تَخْتَفِي عِنْدَ الِاقْتِرَابِ،

تُذَكِّرُنَا بِجَمَالِهَا الْعَابِرِ، وَهَشَاشَةِ مَا نَكْتُبُ.

لَيْسَتْ كُلُّ الْكَلِمَاتِ جُسُورًا،

أَحْيَانًا تَكُونُ أَوْهَامًا،

تُضَلِّلُ، تُزَيِّنُ، ثُمَّ تَذُوبُ.

لَكِنْ، رَغْمَ ذَلِكَ، لَا غِنَى لَنَا عَنْهَا،

هِيَ مَنْ تَحْفَظُ أَرْوَاحَنَا مِنَ النِّسْيَانِ.

تَعَلَّمْتُ أَنْ أُفَرِّقَ بَيْنَهَا،

أَنْ أَخْتَارَ مَا يُشْبِهُنِي،

وَأَدَعَ الزَّيْفَ يَتَلَاشَى.

الْكَلِمَاتُ الْحَقِيقِيَّةُ تَزْرَعُ بُذُورًا،

تُثْمِرُ صِدْقًا وَحَنِينًا،

وَفِي وَادِي الزَّمَنِ،

أَبْحَثُ عَنْهَا،

عَنْ تِلْكَ الَّتِي تَسْتَحِقُّ أَنْ تَبْقَى.

تَسَاؤُلَاتُ الْقَمَرِ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ

فِي عُمْقِ اللَّيْلِ، حِينَ يَتَدَثَّرُ الْعَالَمُ بِصَمْتٍ كَثِيفٍ،

يَنْطَلِقُ الْقَمَرُ فِي رِحْلَةٍ هَادِئَةٍ عَبْرَ سَمَاءٍ بِلَا نُجُومٍ،

بِعَيْنَيْنِ مُثْقَلَتَيْنِ بِأَسْئِلَةٍ لَا تَنَامُ،

تَهْمِسُ بِهَا الرِّيحُ، وَتُرَدِّدُهَا الْأَشْجَارُ،

وَيُتَرْجِمُهَا صَمْتُ الْأَرْضِ الْبَعِيدَةِ.

يَتَسَاءَلُ الْقَمَرُ: لِمَاذَا يَطُولُ اللَّيْلُ؟

مَا مَعْنَى الظِّلَالِ الَّتِي تَرْقُصُ فَوْقَ وَجْهِهِ الْفِضِّيِّ؟

وَمَاذَا عَنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ،

يَرْجُونَ مِنْهُ ضَوْءًا يُرَبِّتُ عَلَى قُلُوبِهِمُ الْمُنْهَكَةِ؟

وَفِي تَسَاؤُلَاتِهِ، أَجِدُنِي،

أُفَتِّشُ عَنْ إِجَابَاتٍ فِي عَتْمَةِ الْوَعْيَ،

أَتَلَمَّسُ مَسَارَاتٍ لَا تُرَى إِلَّا بِنُورٍ دَاخِلِيٍّ،

أَمْشِي فِي مَتَاهَاتِ الْفِكْرِ،

وَأَجِدُ فِي الصَّمْتِ نَدِيمًا،

وَفِي الظِّلِّ ضَوْءًا خَافِتًا يَقُودُنِي بِبَصِيرَتِي.

عَلَّمَنِي الْقَمَرُ أَنَّ لَسْنَا بِحَاجَةٍ لِكُلِّ الْأَجْوِبَةِ،

وَأَنَّ السُّؤَالَ ذَاتَهُ طَرِيقٌ،

جِسْرٌ يَرْبِطُ بَيْنَ الظُّلْمَةِ وَالنُّورِ،

بَيْنَ التَّرَدُّدِ وَالْيَقِينِ.

وَفِي تَسَاؤُلَاتِهِ، أَتَنَفَّسُ الطُّمَأْنِينَةَ،

وَأَفْتَتِحُ فَصْلًا جَدِيدًا مِنَ الرِّضَا وَالْفَهْمِ.

دِفْءُ اللَّيْلِ فِي عُيُونِ الْغِيَابِ

حِينَ يُسْدِلُ اللَّيْلُ سِتَارَهُ عَلَى مُدُنِ الْغِيَابِ،

تَغْدُو الْعُيُونُ الرَّاحِلَةُ نَوَافِذَ تُطِلُّ عَلَى دِفْءِ الذَّاكِرَةِ،

لَا تَغِيبُ عَنْ قَلْبٍ يَحِنُّ،

تَحْتَضِنُ الْفَقْدَ بِصَمْتٍ،

وَتَلْمَعُ بِوَمِيضِ الْحَنِينِ فِي عُمْقِ الْعَتْمَةِ.

الْغِيَابُ لَيْسَ مَوْتًا،

بَلْ هَيْئَةٌ أُخْرَى لِلْحُضُورِ،

حُضُورٌ يُعَلِّمُنَا الْحُبَّ مِنْ بَعِيدٍ،

وَيَزْرَعُ الدِّفْءَ فِي زَوَايَا الْقَلْبِ، رَغْمَ بُرُودَةِ اللَّحْظَةِ.

فِي عُيُونِ الْغِيَابِ، حِكَايَاتٌ لَا تُرْوَى،

عَنْ وُجُوهٍ عَبَرَتْ، وَتَرَكَتْ وَهَجًا لَا يَخْبُو،

عَنْ كَلِمَاتٍ لَمْ تُقَلْ، لَكِنَّهَا سَكَنَتْ صَدَى الزَّمَنِ،

وَعَنْ لَحَظَاتٍ لَا تَزَالُ تَنْبِضُ فِي الْقَلْبِ.

اللَّيْلُ لَا يَكُونُ وَحِيدًا،

حِينَ يَسْكُنُ دِفْءُ مَنْ غَابُوا عُيُونَهُ،

وَيَهْمِسُ الْحُبُّ: «أَنَا بَاقٍ، وَإِنْ غَابَ أَصْحَابِي»،

فَهُوَ نُورٌ فِي ظَلَامِ الذَّاكِرَةِ،

وَوُجُودٌ لَا يُقَاسُ بِالْمَسَافَةِ.

وَشْوَشَاتُ الْغَيْمَةِ فَوْقَ سَرِيرِ الْمَدِينَةِ

تَنْسَابُ الْغَيْمَةُ فَوْقَ الْمَدِينَةِ كَوَشْوَشَةٍ نَاعِمَةٍ،

تَلَامِسُ الْمَبَانِي وَتَغْسِلُ الْأَرْصِفَةَ بِنَدَى الْمَطَرِ،

تُرَبِّتُ عَلَى قَلْبِ الْمَدِينَةِ الْمُتْعَبَةِ،

وَتَبُوحُ بِأَسْرَارٍ لَا تَسْمَعُهَا إِلَّا الْقُلُوبُ الَّتِي تَأْبَى النِّسْيَانَ.

فِي هَمْسِ الْغَيْمَةِ، صَدَى خُطَى عَابِرَةٍ،

ضَحِكَاتٌ عَلَقَةٌ فِي زَوَايَا الْأَزِقَّةِ،

وَأَحْلَامٌ تَنْتَظِرُ عَلَى نَوَافِذِ الضَّوْءِ فَجْرًا جَدِيدًا.

الْمَدِينَةُ لَيْسَتْ حِجَارَةً وَأَسْلَاكًا فَقَطْ،

بَلْ ذَاكِرَةٌ نَابِضَةٌ،

تَتَنَفَّسُ مَعَ الْغَيْمِ،

وَتَنْعَمُ بِلَحَظَاتِ سَكِينَةٍ

تُذَكِّرُنَا أَنَّ فِي قَلْبِ الضَّجِيجِ،

ثَمَّةَ نَبْعٌ مِنَ السَّلَامِ.

عَبِيرُ الْخُطَى عَلَى رَصِيفِ الْأَيَّامِ

لِكُلِّ خُطْوَةٍ نَخْطُوهَا عَبِيرُهَا الْخَاصُّ،

مَزِيجٌ مِنْ عَطَشِ الْمَاضِي وَنَبْضِ الْحَاضِرِ،

يَحْكِي سِيرَةً لَا تَنْتَهِي عَنِ السَّعْيِ، وَالانْكَسَارِ، وَالرَّجَاءِ.

الْخُطَى لَيْسَتْ حَرَكَةً عَابِرَةً،

بَلْ حُرُوفٌ تَكْتُبُهَا الرُّوحُ عَلَى صَفَحَاتِ الزَّمَنِ،

تُخْبِرُهُ أَنَّنَا هُنَا،

نُجَاهِدُ، نُحِبُّ، وَنَصْنَعُ الْمَعْنَى.

رَصِيفُ الْأَيَّامِ قَدْ يَلِينُ أَوْ يَشْتَدُّ،

لَكِنَّ كُلَّ خُطْوَةٍ عَلَيْهِ

تَتْرُكُ أَثَرًا يَسْتَحِقُّ التَّأَمُّلَ،

تُحَوِّلُ الْعَنَاءَ إِلَى حِكَايَةٍ،

وَالْوَجَعَ إِلَى بَصِيرَةٍ.

صَوْتُ خَطَوَاتِي رِسَالَةٌ لَا تُخْطِئُهَا أُذُنِي،

نِدَاءٌ دَاخِلِيٌّ يَقُولُ:

مَا زِلْتُ أَتَنَفَّسُ،

وَمَا زَالَ فِي قَلْبِي بُذُورُ أَمَلٍ تُزْهِرُ كُلَّ صَبَاحٍ.

هَمَسَاتُ الذِّكْرَيَاتِ عَلَى أَبْوَابِ الْغَدِّ

حِينَ تَطْرُقُ الذِّكْرَيَاتُ أَبْوَابَ الْغَدِّ،

تَتَسَلَّلُ كَنَسْمَةِ أَوَّلِ الصَّبَاحِ،

تُوقِظُ مَا خَفَتْ مِنَ الْأَحَاسِيسِ،

وَتُعِيدُ تَرْتِيبَ الْقَلْبِ بَيْنَ مَا مَضَى وَمَا هُوَ آتٍ.

لَيْسَتِ الذِّكْرَيَاتُ أَعْبَاءً،

بَلْ هَمَسَاتٌ فِيهَا عِطْرُ الرَّجَاءِ،

تَقُولُ إِنَّ الْمَاضِي كَانَ مِفْتَاحًا،

وَأَنَّ كُلَّ بَابٍ جَدِيدٍ يَفْتَحُهُ الْحَنِينُ.

حَتَّى أَصْغَرُ الذِّكْرَيَاتِ،

تَحْمِلُ دَرْسًا خَفِيًّا،

تُضِيءُ الْقَلْبَ، وَتُغَذِّي الْحِكْمَةَ،

وَتَدْعُونَا لِنُحِبَّ الْحَيَاةَ أَكْثَرَ، مَهْمَا كَانَتْ فُصُولُهَا.

عَلَى أَعْتَابِ الْغَدِّ،

تَلْتَفُّ الذِّكْرَيَاتُ كَأَكَالِيلِ نُورٍ،

تَهْمِسُ لَنَا:

«اِمْضِ، فَالْحَيَاةُ جَدِيرَةٌ بِأَنْ تُعَاشَ بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنْ تَفَاصِيلٍ.»

صَمْتُ النُّجُومِ حِينَ لا تَنَامُ الرُّوحُ

في حُضْرَةِ اللَّيْلِ، حِينَ يُسْدَلُ الصَّمْتُ سِتَارَهُ عَلَى سَمَاءٍ لا تَنَامُ، تَلْتَقِي النُّجُومُ فِي صَمْتٍ أَبَدِيّ، كَأَنَّهَا أَلْسِنَةٌ خَفِيَّةٌ تَرْوِي أَسْرَارَ الْأَرْوَاحِ الَّتِي تَسْكُنُ بَيْنَ ضُلُوعِنَا.

لا فَرْقَ إِنْ كَانَتِ الْعُيُونُ مَفْتُوحَةً أَوْ مَغْمَضَةً، فَالرُّوحُ السَّاهِرَةُ تُرَاقِبُ الْكَوْنَ بِأَبْعَادِهِ الْخَفِيَّةِ، وَتُصْغِي لِهَمَسَاتِ النُّجُومِ الصَّامِتَةِ.

صَمْتُ النُّجُومِ لَيْسَ غِيَابًا لِلْكَلَامِ، بَلْ هُوَ لُغَةٌ عَمِيقَةٌ لا يَفْهَمُهَا إِلَّا مَن غَاصَ فِي أَعْمَاقِهِ، وَأَدْرَكَ أَنَّ السُّكُونَ أَبْلَغُ مِنْ أَلْفِ كَلِمَةٍ.

هُنَاكَ، تَنْكَسِرُ حُدُودُ الْوَاقِعِ، وَتَنْسَابُ الْأَفْكَارُ كَمَوْجٍ هَادِئٍ يَغْمُرُ الشَّاطِئَ، يَنْسُجُ أَحْلَامًا مِنْ نُورٍ، وَذِكْرَيَاتٍ مِنْ ظِلٍّ.

فِي هَذَا الصَّمْتِ، تَرَى الرُّوحُ وَجْهَهَا الْحَقِيقِيَّ،

تُدْرِكُ أَنَّ الْأَلَمَ وَالْفَرَحَ وَجْهَانِ لِعُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ،

وَأَنَّ الْوَحْدَةَ لَيْسَتْ فَرَاغًا، بَلْ فَسْحَةً لِلتَّأَمُّلِ،

وَأَنَّ السَّهَرَ مَعَ الذَّاتِ هُوَ أَجْمَلُ لِقَاءٍ.

أُحِبُّ هَذَا الصَّمْتَ، وَأَحْتَضِنُهُ كَأَثْمَنِ الْهَدَايا،

لِأَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَيْفَ أَكُونُ حُرَّةً، كَيْفَ أُحِبُّ بِلَا شُرُوطٍ،

كَيْفَ أَكُونُ أَنَا...

حَيْثُ لا تَتَقَاطَعُ الْكَلِمَاتُ، بَلْ تَتَلَاقَى الْمَشَاعِرُ،

وَحَيْثُ لا نَحْتَاجُ إِلَى صَدَى، بَلْ إِلَى حُضُورٍ نَقِيٍّ.

حِينَ يَهْمِسُ صَمْتُ النُّجُومِ،

يَبْدَأُ الْقَلْبُ بِالْكَلَامِ،

وَيُصْبِحُ الصَّمْتُ لُغَةَ عِشْقٍ لا تَمُوتُ،

وَأُغْنِيَةً لا تَنْتَهِي.

أَنِينُ الوَرَقِ تَحْتَ أَضْوَاءِ القَمَرِ

فِي سُكُونِ اللَّيْلِ، حِينَ يَنْسَحِبُ الضَّجِيجُ عَنْ المَدِينَةِ، يَنْبَعِثُ أَنِينُ الوَرَقِ تَحْتَ أَضْوَاءِ القَمَرِ الْخَافِتَةِ.

تَتَنَفَّسُ الحُرُوفُ الَّتِي كُتِبَتْهَا يَدَايَ،

قِصَصًا لَمْ تَكْتَمِلْ، وَأَحْلَامًا تَأَرْجَحَتْ بَيْنَ الوَاقِعِ وَالوَهْمِ.

الوَرَقُ يَحْمِلُ أَسْرَارِي،

يُخْفِي دَمْعِي وَفَرَحِي بَيْنَ طَيَّاتِهِ،

يُوَثِّقُ فُصُولًا مِنَ الأَلَمِ وَالتَّعَافِي،

هُوَ مِرْآتِي الصَّامِتَةُ، لا يَكْذِبُ، لا يَتَلَوَّنُ، لا يَخُونُ.

حِينَ أَقْرَأُ أَنِينَ الوَرَقِ، أَعُودُ إِلَى نَفْسِي الأُولَى،

إِلَى لَحَظَاتٍ كُنْتُ فِيهَا عَارِيَةً أَمَامَ الحَقِيقَةِ،

أَنْتَظِرُ بِصَمْتٍ، أُقَاتِلُ خَوْفِي، وَأَحْتَضِنُ أَمَلِي.

الوَرَقُ، فِي ضَوْءِ القَمَرِ، هُوَ رَفِيقِي فِي الرِّحْلَةِ،

يَدْعُونِي أَنْ أُسَامِحَ، أَنْ أُحِبَّ،

أَنْ أَبْدَأَ مِنْ جَدِيدٍ، رَغْمَ الجِرَاحِ.

هَذَا الأَنِينُ لَيْسَ نِدَاءً لِلْحُزْنِ،

بَلْ نَشِيدٌ لِلنَّقَاءِ،

وَأُغْنِيَةٌ لِرُوحٍ تُحِبُّ أَنْ تَحَلِّقَ،

حَتَّى وَإِنْ تَعَثَّرَتْ فِي ظِلَالِ اللَّيْلِ.

٢٣-حين تلتفت الحياة نحوك وتبتسم

في زحامِ التفاصيلِ، وأحاديثِ العابرين، والطرقاتِ المتشابكةِ،

كان هناك فراغٌ لا يُملأُ،

غصّةٌ صامتةٌ تسكنُ القلبَ،

ولم أبحث عن ضوءٍ... بل كنت أبحث عني.

في صباحٍ خافتٍ، أدركت أنَّ ما ضاعَ لم يكن خسارةً،

بل تمهيدًا كي أجدني وسط التيهِ.

لم أعد أرجو أحدًا ليمنحني اسمي،

ولا أركض خلف يقينٍ عابرٍ،

بل أمسكت بقلبي وقلت له:

«هنا، رغم التعبِ، رغم الخذلانِ،

نقفُ... ونبدأُ من جديدٍ.»

الحياةُ لا تبتسمُ دائمًا،

لكنها تلتفت أحيانًا فجأةً...

لا لأنها لطيفةٌ،

بل لأنك قررت أن تُكمل،

دون أن تنتظر منها شيئًا.

حين تصل إلى تلك اللحظةِ،

تشعر أنك عدت إليك بعد غيابٍ،

وأن صوتك لم يكن ميتًا... بل نائمًا،

وكان ينتظر فقط أن تسكت الضوضاءُ.

أنا لست ظلًّا لأحدٍ،

ولا تكرارًا لأمنيةٍ مؤجلةٍ،

أنا تفصيلٌ نادرٌ في نسيجِ الأيامِ،

صُنعت من الحلمِ والخذلانِ،

من الصبرِ والشغفِ،

ومن انكسارٍ علّمني كيف أكون أكثر ليونةً،

وأقوى مما ظنّوا.

ما عدت أبحث عن نهاياتٍ مثاليةٍ،

ولا قصصٍ تُشبه الأفلامَ،

أنا أكتبني، كما أنا،

بخطوٍ هادئٍ... لكنه ثابتٌ.

الذين عادوا من الحبِّ أحياءَ

كان حُبًّا، نعم... لكنَّه لم يكن وطنًا.

كان دفئًا خادعًا، كأنْ تضعَ كفَّكَ على شمعةٍ،

تشعرُ بالضوء وتظنُّه دفئًا،

ثم تحترق.

ليس كلُّ ما يُشبهُ الحُبَّ... حُبًّا،

ولا كلُّ مَن اقتربَ كان أليفًا.

ثمَّةَ قلوبٌ تعبرُك لتكسرَ فيكَ أشياءَ لا يُصلحُها الوقت.

لكنَّني نَجَوتُ،

من وَهمٍ اسمُه «نحن»،

من انتظارٍ لا يستحقُّه أحد،

من مساءاتٍ رمَّمتُ فيها حُزني بأطرافِ أَصابعي،

من رسائلَ لم تُقرَأ،

وصمتٍ ابتلعَني كلَّما فتحتُ قلبي.

تعلَّمتُ أنَّ الحُبَّ لا يُقاسُ بالاشتياق،

ولا يُوزنُ بعددِ السهراتِ أو الرسائل،

الحُبُّ هو: مَن تراه فتطمئنُّ،

مَن لا تحتاجُ معه إلى تبريرِ نبضِكَ،

ولا إلى ارتداءِ نسخةٍ مُزيَّفةٍ منكَ.

كنتُ أظنُّ أنَّني إنْ تركتُه،

سأسقطُ على حافَّةِ العُمرِ دونَ معنى،

لكنَّني تركتُ... ونهضتُ،

تركتُ الألمَ في مكانِه... ومضيتُ.

لم أعُدْ كما كنتُ،

صِرتُ أنضجَ، أهدأَ، وأقربَ إليَّ.

لم أعُدْ أُرتِّبُ قلبي على مقاسِ أحد،

ولا أَنتظرُ صوتًا كي أطمئنَّ،

ولا عِناقًا لأشعرَ بالأمان.

أنا الآن أكتُبُني من جديد،

بقلمٍ أنضجَ،

وبخطٍّ فيهِ نورٌ من قلبي الذي استيقظَ أخيرًا،

بعدَ غيبوبةِ حُبٍّ لا يُشبهُ الحُبَّ.

ليست كلُّ النهاياتِ مأساويَّةً،

بعضُها ولادةٌ،

وبعضُها... حياةٌ.

غدًا لن يكون كما مضى

كلَّما أغلقتِ الحياةُ بابًا في وجهي،

كنتُ أسمع في أعماقي صوتًا يقول:

«ما خُلِقتَ لتقفَ هنا.»

لم يكن صوتًا خارجيًّا،

بل من ذلك الجزءِ الذي لم ينكسرْ رغم كلِّ شيء.

أنا لستُ زهرةً نَمَتْ في بيئةٍ مثاليَّة،

بل شجرةً صمدتْ في الجفاف،

وتحتَ العواصف،

ولم يَسقِها أحدٌ... سوى الأمل.

ظننتُ كثيرًا أنني انتهيت،

أن لا شيء بعد هذه الخسارة،

لكنني كنتُ أنهضُ في كلِّ مرة،

بطريقةٍ لا أفهمها،

كأنَّ في داخلي نورًا لا يَخبو،

وإصرارًا لا يُرى.

المعجزة؟

أن تفتحي عينيكِ كلَّ صباحٍ رغم التعب،

أن تنهضي رغم الحزن،

أن تُرتِّبي نهارَكِ كأنكِ لم تبكي ليلًا،

أن تبتسمي للغد،

كأنَّ الأمسَ لم يُكسركِ.

الجميلُ في الحياة،

أنها لا تمنحُكِ ما تطلبين فورًا،

بل تُعطيكِ ما تحتاجينَه... حين تظنِّين أنَّكِ لن تصلي.

هناك شيءٌ عظيمٌ ينتظرُنا،

يُشبه الوطنَ دونَ سفر،

ويُشبه الأمانَ دونَ اعتماد،

شيءٌ نكبرُ فيه ونُضيءُ من خلاله،

ثمَّ نفهمُ أنَّ كلَّ تأخيرٍ،

كان تجهيزًا لاختلافِنا.

غدًا... لن يكون كما مضى،

لأنَّنا لم نَعُدْ كما كنَّا،

سَنَحملُ في قلوبِنا خريطةً جديدة،

ونسيرُ على دروبٍ زرعناها بصبرٍ طويل،

وسنسقيها بحبٍّ أكبر،

وبقلبٍ تعلَّم أخيرًا... كيف لا يخافُ الطريق.

نجاحٌ لا يُصفَّق له أحد

ليس كلُّ نجاحٍ بحاجةٍ إلى جمهور،

فهناك انتصاراتٌ صامتةٌ لا تُصفَّق لها الأيادي،

لكنها تُنبتُ في الروحِ جناحينِ من نور،

وتزرعُ في القلبِ يقينًا لا يتزعزع.

نجاحاتٌ لا تُرى،

كأنْ تنامَ باكرًا بعدَ سنواتٍ من الأرق،

أنْ تنظرَ إلى صورتِك دونَ أنْ تنفرَ من ملامحك،

أنْ تكفَّ عن الحسد،

وتعفوَ دونَ عودة،

وتتوقّفَ عن انتظارِ أحد.

نجاحُك أنْ تبكيَ مرةً واحدةً على ما أتعبكَ طويلًا،

ثمَّ تمسحَ دمعتَك وتقولَ لنفسِك: «انتهى.»

أنْ تُنجزَ مهامَّك دونَ تذمّر،

وتُرمّمَ ذاتَك دونَ ضجيج.

النجاحُ ليس حفلَ تخرُّج،

ولا شهادةً مؤطَّرة،

ولا خبرًا في العناوين.

إنه أنْ تُربّيَ قلبًا لا يعرفُ الحقد،

وعقلًا لا ينسى أصلَه،

وروحًا لا تُفسدُها خيباتُ البشر.

نجاحُك في صمتِك حينَ يُستفزّ كبرياؤك،

في ردِّك الجميلِ لِمَنْ أساء،

وفي قدرتِك على الرحيلِ دونَ أن تُخلّفَ دمارًا.

وكمْ فيكِ من هذا النوعِ من النجاح...

ذلك الذي لا يُقاس، ولا يُرى،

لكنَّه يرفعُكِ درجةً داخلكِ كلَّ يوم.

لا تنتظري من العالمِ فهمَ هذا النوعِ من النجاح،

فالعالمُ لا يرى إلّا ما يُعرض،

أمّا الله... فَيَرى،

وذلك يكفي.

ما كُتِبَ لَكِ لَنْ يُخْطِئَكِ

قَدْ تَدُورِينَ حَوْلَ الحُلْمِ، كَمَا يَدُورُ الفَلَكُ،

تَمُدِّينَ يَدَيْكِ نَحْوَ الغَيْمِ، فَلَا يُمْطِرُ،

تُشْعِلِينَ شَمْعَةً، فَيُطْفِئُهَا الهَوَاءُ...

وَمَعَ ذَلِكَ،

تَذَكَّرِي دَوْمًا:

ما كُتِبَ لَكِ... لَنْ يُخْطِئَكِ.

مَا بَدَا تَأْخِيرًا، كَانَ تَهْيِئَةً،

وَمَا ظَنَنْتِهِ حِرْمَانًا، كَانَ لُطْفًا لَمْ تَفْهَمِيهِ بَعْدُ.

رُبَّمَا مَا لَمْ يَحْدُثْ،

كَانَ لِيُطْفِئَ نُورَكِ،

أَوْ يُؤْذِي قَلْبَكِ،

أَوْ يُنقِصَ مِنْ قَدْرِكِ.

رُبَّمَا الشَّيْءُ الَّذِي بَكَيْتِ لِأَجْلِهِ،

لَوْ حَدَثَ، لَكَسَرَكِ بِطَرِيقَةٍ لَا تُرَمَّمُ.

الَّذِينَ رَضُوا... لَمْ تَنْتَهِ حِكَايَتُهُمْ،

بَلْ بَدَأَتْ رِوَايَتُهُمْ بِهُدُوءٍ؛

بِرُؤْيَةٍ لِلْحُفَرِ كَطُرُقٍ،

وَلِلْغِيَابِ كَتَرْتِيبٍ،

وَلِلتَّأْجِيلِ كَرِسَالَةٍ، لَا تَجَاهُلَ.

نَحْنُ جَمِيعًا عَلَى مَسْرَحِ قَدَرٍ،

وَلَا رَاحَةَ فِيهِ إِلَّا بِالقَبُولِ؛

قَبُولِ أَنْ لَا كُلُّ مَحْبُوبٍ يَدُومُ،

وَلَا كُلُّ مَفْقُودٍ خَسَارَةٌ،

وَأَنَّ رُؤْيَتَنَا لَا تُدْرِكُ غَيْبَ السَّمَاءِ.

الرِّضَا لَيْسَ ضَعْفًا،

بَلْ قِمَّةُ الفَهْمِ الرُّوحِيِّ؛

أَنْ تُحَاوِلَ، ثُمَّ تُسَلِّمَ،

أَنْ تُخَطِّطَ، ثُمَّ تَهْمِسَ لِقَلْبِكَ:

«إِنْ لَمْ يَكُنْ، فَلْيَكُنْ خَيْرًا أَعْظَمَ.»

لَا تَخْشَيْ الفَوَاتَ،

فَمَا فَاتَكِ، لَمْ يَكُنْ لَكِ،

وَمَا كُتِبَ لَكِ...

سَيَأْتِي، وَلَوْ كَانَ بَيْنَكِ وَبَيْنَهُ الغَيْمُ وَالكَوْنُ،

سَيَأْتِيْكِ بِسَلَامٍ يُغْنِيكِ عَنْ كُلِّ تَعَبٍ،

وَيُمْسِكُ بِيَدِكِ، حِينَ تَظُنِّينَ أَنَّكِ وَحْدَكِ.

كُلَّمَا ضَاقَ قَلْبُكِ،

طَمِّنِيهِ:

«مَا كُتِبَ لِي... لَنْ يُخْطِئَنِي.»

القُوَّةُ الَّتِي لَا تُرَى

لَيْسَتْ كُلُّ قُوَّةٍ تُذَاعُ،

وَلَا كُلُّ انتِصَارٍ يُعْلَنُ.

ثَمَّةَ قُلُوبٌ تَرْبَحُ مَعَارِكَهَا فِي صَمْتٍ،

تَبْتَسِمُ رَغْمَ الأَلَمِ،

وَتَصْمُدُ بَعِيدًا عَنِ التَّصْفِيقِ.

القُوَّةُ الحَقِيقِيَّةُ لَا تَصْرُخُ،

وَلَا تُبَرِّرُ،

وَلَا تَطْلُبُ مِنْ أَحَدٍ فَهْمَهَا.

إِنَّهَا تَمْضِي وَاثِقَةً،

تَكْسِرُهَا الحَيَاةُ فَلَا تُظْهِرُ الكَسْرَ إِلَّا لِلَّهِ.

القَوِيُّ... هُوَ مَنْ امْتَلَكَ حَقَّ الرَّدِّ، وَاخْتَارَ الصَّمْتَ،

مَنْ تَأَلَّمَ وَلَمْ يَشْتَكِ،

مَنْ سَامَحَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى العِقَابِ.

القُوَّةُ لَيْسَتْ فِي الرَّدِّ... بَلْ فِي العُبُورِ.

لَيْسَتْ فِي الغَضَبِ... بَلْ فِي الحِلْمِ،

وَلَا فِي الكَلِمَةِ الأَخِيرَةِ... بَلْ فِي الصَّمْتِ الَّذِي يَعْلُو.

أَقْوَى القُلُوبِ لَيْسَتِ الَّتِي لَا تُخْذَلُ،

بَلِ الَّتِي تَنْهَضُ بَعْدَ كُلِّ خَيْبَةٍ... أَقْوَى وَأَصْفَى.

يَظُنُّكِ البَعْضُ ضَعِيفَةً لِأَنَّكِ لَا تَصْرُخِينَ،

لَكِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّ كُلَّ نَهْضَةٍ صَامِتَةٍ...

هِيَ انتِصَارٌ لَا يُنْسَى.

أَنْ تَمْسَحِي دُمُوعَكِ وَحْدَكِ،

وَتُعِيدِي بِنَاءَ نَفْسِكِ مِنَ الرَّمَادِ،

وَتُحَوِّلِي الأَلَمَ إِلَى بَصِيرَةٍ...

تِلْكَ هِيَ القُوَّةُ الَّتِي لَا تُرَى،

وَلَكِنَّ الأَرْوَاحَ تَشْعُرُ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَرَاهَا.

الَّذِينَ يَنْهَضُونَ دُونَ أَنْ يَطْلُبُوا يَدًا

في زوايا الحَيَاةِ،

حيثُ تَكْثُرُ الخَيبَاتُ،

يَعِيشُ أُنَاسٌ نَادِرُونَ...

يَنْهَضُونَ دُونَ صَرَاخٍ،

وَلَا طَلَبَ يَدٍ تَسْنِدُهُمْ.

هُمْ مِنْ اعْتَادُوا أَنْ يَكُونُوا سَنَدًا لِأَنْفُسِهِمْ،

أَنْ يُرَبُّوا فِي دَوَاخِلِهِمْ قُدْرَةً عَلَى الثَّبَاتِ،

أَنْ يُدْرِكُوا أَنَّ التَّعَلُّقَ خُذْلَانٌ مُؤَجَّلٌ،

وَأَنَّ الِاعْتِمَادَ عَلَى الآخَرِينَ هَشٌّ.

حِينَ يَبْحَثُ النَّاسُ عَنْ كَتِفٍ،

هُمْ يَسْنُدُونَ أَرْوَاحَهُمْ عَلَى عَزِيمَتِهِمْ،

وَحِينَ يَغْرَقُ غَيْرُهُمْ فِي الانْتِظَارِ،

هُمْ يَشُقُّونَ الطَّرِيقَ بِأَنْفُسِهِمْ.

لَا يَنْهَارُونَ،

وَلَا يُكْثِرُونَ الشَّكْوَى،

يُخْفُونَ أَوْجَاعَهُمْ،

وَيُرَمِّمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهُدُوءٍ.

لَيْسُوا قَسَاةً... بَلْ أَقْوِيَاءَ،

وَلَا مُتَعَالِينَ... بَلْ حَذِرِينَ،

لَا يَطْلُبُونَ شَيْئًا...

لَكِنَّ مَنْ يَلْتَقِيَهُمْ،

يُدْرِكُ أَنَّهُمْ نُدْرَةٌ تَسْتَحِقُّ الاحْتِرَامَ.

الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الحَيَاةَ بِأَعْيُنِهِمْ

بَعْضُهُمْ لَا يَمْسِكُ قَلَمًا،

وَلَا يَخُطُّ حِكَايَةً،

لَكِنَّ أَعْيُنَهُمْ وَحْدَهَا تَكْتُبُ الحَيَاةَ.

نَظَرَاتُهُمْ...

كَأَنَّهَا أَوْطَانٌ،

تُشْعِرُكَ أَنَّ ضِيَاعَكَ اِنْتَهَى،

وَأَنَّكَ لَسْتَ وَحِيدًا وَسْطَ الصَّخَبِ.

عُيُونُهُمْ لَا تَخُونُ،

وَلَا تَتَجَمَّلُ،

بَلْ تَبُوحُ،

وَتَغْرِسُ فِيكَ سَلَامًا لَا يُوْصَفُ.

لَا يَتَكَلَّمُونَ كَثِيرًا،

لَكِنْ فِي نَظَرَاتِهِمْ فُصُولُ حَنَانٍ،

وَنَوَافِذُ مَفْتُوحَةٌ عَلَى أَمَلٍ.

مِنْ تَعَبٍ،

مِنْ نُضْجٍ،

مِنْ اِنْكَسَارٍ وَاخْتِيَارِ النُّورِ...

هُوَ مَنْ يَفْهَمُ لُغَتَهُمْ.

لَا يَكْتُبُونَ عَلَى الوَرَقِ،

لَكِنْ إِنْ مَرُّوا فِي حَيَاتِكَ،

اشْكُرِ الحَيَاةَ عَلَى حُضُورِهِمْ،

فَهُمْ يُرَمِّمُونَكَ دُونَ أَنْ يَلْمِسُوكَ...

فَقَطْ بِنَظْرَةٍ.

نَجَاحٌ يَكْتُبُ قِصَّةَ تَأَلُّقٍ لَا تُنْسَى

فِي الصَّفْحَةِ البَيْضَاءِ مِنْ كِتَابِ الحَيَاةِ،

تُكْتَبُ الحِكَايَاتُ الَّتِي لَا يَطْوِيهَا النِّسْيَانُ،

حِكَايَاتُ نَجَاحٍ،

تَتَأَلَّقُ كَنُجُومٍ لَا تَنْطَفِئُ،

وَتَلْمَعُ فِي سَمَاءِ الزَّمَنِ بِثَبَاتٍ.

النَّجَاحُ لَيْسَ صُدْفَةً عَابِرَةً،

وَلَا هَدِيَّةً تَهْبِطُ فِي أَحْضَانِ المُتْكَاسِلِينَ،

بَلْ هُوَ سِيرَةٌ تُرْوَى بِعَزِيمَةٍ،

وَتُخَطُّ بِحِبْرِ الصَّبْرِ وَالإِصْرَارِ.

وَرَاءَ كُلِّ إِنْجَازٍ،

هُنَاكَ بَطَلٌ لَا يَظْهَرُ،

يَزْرَعُ حِينَ يَتَوَقَّفُ الآخَرُونَ،

وَيَحْلُمُ حِينَ يَخْفَتُ الحُلْمُ فِي العُيُونِ،

وَيُواصِلُ حِينَ يَتَرَاجَعُ الجَمِيعُ.

تُكْتَبُ تِلْكَ الحِكَايَاتُ،

لَا فِي ضَجِيجِ العَالَمِ،

بَلْ فِي سُكُونِ النَّفْسِ،

وَفِي يَقِينٍ لَا يَعْرِفُ الانْكِسَارَ.

فَكُلُّ جُهْدٍ تَبْذُلُهُ،

وَكُلُّ عَقَبَةٍ تَتَجَاوَزُهَا،

وَكُلُّ حُلْمٍ تُحَقِّقُهُ،

هُوَ نُورٌ جَدِيدٌ فِي قِصَّةِ تَأَلُّقٍ لَا تُنْسَى.

على حافةِ الضَّوْءِ

أحيانًا لا نُولَدُ مَرَّةً واحدةً،

بل نُولَدُ كُلَّمَا عَبَرْنا مِنْ عَتْمَةٍ إلى نُورٍ،

كُلَّمَا انْكَسَرْنا ثُمَّ نَهَضْنا،

كُلَّمَا لَمَحْنا وُجوهَنا في مَرَايَا لَمْ نَكُن نَعْرِفُها.

على الحافَةِ بَيْنَ اليَأْسِ وَالضِّياءِ،

تَقِفُ الأرواحُ المُتْعَبَةُ،

تَحْمِلُ حَقائِبَ مِنْ عُمْرٍ ثَقيلٍ،

بِداخِلِها رَسائِلَ لَم تُقْرَأْ،

وَأُمْنِيَّاتٍ مُؤَجَّلَةٍ،

وَخَوْفٍ سَكَنَ الصَّمْتَ،

وَأَمَلٍ أَصَرَّ عَلَى البَقَاءِ.

الحياةُ لَيْسَتْ طَريقًا مُسْتَقِيمًا،

بَلْ مَنْعَطَفَاتٍ لا يُتْقَنُها إِلَّا مَن مَشَى حَافِيًا،

وَتَعَلَّمَ كَيْفَ يَبْتَسِمُ وَهُوَ يَنْزِفُ،

وَكَيْفَ يُحِبُّ وَهُوَ مَكْسُورٌ،

وَكَيْفَ يَحْلُمُ وَسَطَ ضَجِيجِ الخَيَّبَاتِ.

على حافَةِ الضَّوْءِ،

أَدْرَكْتُ أَنَّني لَا أَحْتاجُ لِمَن يُشْبِهُني،

بَلْ لِمَن يُشْبِهُ النُّورَ،

ذَاكَ الَّذي يُنيرُ دَاخِلِي لا ظَاهِرِي،

وَيَقْرَأُنِي حِينَ تَعْجِزُ كَلِماتِي عَنِ البَوْحِ.

النُّورُ لَا يَسْأَلُ: مَن أَنْتَ؟

بَلْ يَأْتي...

وَيُضِيءُ رُكْنًا مِنَ القَلْبِ كَادَ يَنْسَى كَيْفَ يَفْرَحُ.

نَحْنُ لَا نَكْتُبُ لِنُبْهِرَ الآخَرِينَ،

بَلْ لِنُرَمِّمَ أَرْواحَنَا،

لِنُنْقِذَ مَا بَقِيَ مِنَ الحُلْمِ،

وَنُحَرِّرَ الكَلِماتِ مِنْ خَوْفِها.

على حافَةِ الضَّوْءِ،

تَبْدَأُ الحِكَايَةُ مِنْ جَدِيدٍ،

حَيْثُ لَا أَقْنِعَةَ، وَلَا خَوْفَ،

فَقَطْ قَلْبٌ نَقِيٌّ، وَكَلِمَةٌ صادِقَةٌ، وَنَبْضٌ لَا يَخُونُ.

حين صافَحَتْني الفِكْرَةُ

أعرِفُ أنَّ الفِكْرَةَ لا تَسْتَأْذِنُ،

تَدْخُلُ بِهُدُوءٍ، تَجْلِسُ على كُرْسِيِّ الصَّمْتِ،

وَتَهْمِسُ في أُذُنِي بِما لا يُنْسى.

لم تَكُن فِكْرَةً عابِرَةً،

بل كَأَنَّها رُوحٌ تَنْتَعِلُ المَعْنى،

تَخْتَرِقُ دَهالِيزَ القَلْبِ،

توقِظُ نَبْضًا خافِتًا،

وَتَنْثُرُ الدَّهْشَةَ كَمَا يَفْعَلُ العِطْرُ في الهَواءِ.

كُنتُ أَظُنُّ أنَّ الإبْداعَ وَليدُ كَثْرَةِ القِراءَةِ،

ثُمَّ فَهِمْتُ أَنَّهُ ابْنُ لَحْظَةٍ صادِقَةٍ،

حينَ نُصْغِي بِعُمقٍ،

وَنُؤْمِنُ أَنَّ لِلْفِكْرَةِ قَلْبًا...

وَأَنَّ القَلْبَ وَحْدَهُ يَعْرِفُ مَتَى يُولَدُ النُّورُ.

حينَ صافَحَتْني الفِكْرَةُ،

لم أُسْرِعْ إلى الوَرَقِ،

بل تَرَكْتُها تَهْمِسُ لي عَنْ بَدَايَاتٍ مَنْسِيَّةٍ،

عَنْ جِرَاحٍ تَحَوَّلَتْ إلى نُجومٍ،

وَعَنْ أَحْلامٍ نَضَجَتْ في الظِّلِّ.

الفِكْرَةُ العَظِيمَةُ لا تُولَدُ في الزَّحامِ،

بل في لَحْظَةِ فَراغٍ،

مُمْتَلِئَةٍ بِالصِّدْقِ وَحْدَهُ.

وَيَا لِهَذا الصِّدْقِ...

كَمْ يُرْبِكُنا حِينَ نَكْتُبُهُ،

وَيُدْهِشُنا حِينَ نَقْرَأُهُ بَعْدَ سِنِينٍ،

فَنَبْتَسِمُ...

لِأَنَّنا نَعْرِفُ مَن كَتَبَهُ، دُونَ أَنْ نَبُوحَ.

أُنثى من شغَف

لستُ ممَّن يكتفين بالضوء،

بل ممَّن تفتَّحنَ في قلبِ العتمة،

وصنعنَ من أرواحهنَّ قناديلَ لا تنطفئ.

أنا أُنثى من شغَف،

لا تُرهبني البدايات،

ولا تُغويني النهايات،

ما يأسرني هو الطريق،

هو السعيُ المُضَمَّخُ بالصبر،

والأملُ الذي لا يشيخ.

حين أغضب... أكتب،

وحين أتعب... أستريح على ضفاف الحُلم،

ثم أُكمِلُ المسير.

عالمي ليس بسيطًا،

لكنه صادق،

علَّمتني الأيّامُ أنَّ الصدقَ أجملُ فوضى نعيشها.

أتنفَّسُ الفكرةَ كما يتنفَّس غيري الهواء،

أشتاقُ للتقدُّم كما يشتاق البعضُ للسَّكينة،

ولا أُؤمنُ أنَّ أحدًا سيمنحني مجدي،

إن لم أزرعه بنفسي،

وأرويه من دمعي،

وأرفعه على كتفِ إرادتي.

في داخلي امرأةٌ لا تكبرُ بالعُمر،

بل بالتحدّيات،

تعرف أنَّها خُلِقَت لا لِتُرضي،

بل لِتُدهش... ذاتَها أوّلًا.

أنا لستُ قِصَّةً تُروى،

بل روايةٌ تكتُبُ ذاتَها،

كلَّ يومٍ على هامشِ الحياة.

بينَ الحرفِ والرّوح

ثمَّةَ عالمٌ لا تراهُ العيونُ،

تسكنُه الكلماتُ قبل أن تُكتَب،

حيثُ تتراقصُ الحروفُ برِقّةٍ،

وتتجلّى المعاني بأبهى صُوَرِها،

في المسافةِ بينَ الحرفِ والرّوحِ.

ليستِ الحروفُ وحدَها مَن تصنعُ الجمالَ،

ولا الرّوحُ وحدَها تُكمِلُه،

بل هو اللّقاءُ السّحريّ،

حينَ تلمسُ الكلمةُ نبضَ القلبِ،

فتُصبحَ رسالةً حيّةً،

تسري في العروقِ،

تُوقظُ شغفًا نائمًا،

وترسمُ أملًا جديدًا.

كم مرّةً شعرتَ بأنّك بطلُ قصّةٍ،

كُتبتْ في سطورٍ لم تُكتَب لأجلِك،

لكنّها خرجتْ من عُمقِك،

كأنّها تعرفُك أكثرَ ممّا تعرفُ نفسَك.

بينَ الحرفِ والرّوحِ،

تسكنُ الحقيقةُ التي لا تُقال،

والمشاعرُ التي لا تُختَزَل،

لكنّها تُوقِظ،

وتُنيرُ دربًا كاد أن يُنسى.

فلنكتبْ إذًا من قلبٍ نابضٍ،

ومن صدقٍ لا يتكلّف،

ولنمضِ في رحلةٍ لا نهايةَ لمعناها،

ولا سقفَ لحُلمِها.

رحيلٌ بلا وداعٍ

الرحيلُ أحيانًا لا يحتاجُ بابًا مفتوحًا،

ولا وداعًا بدمعةٍ،

بل يكونُ همسًا ينكسرُ في الصّمت،

ظلًّا يتبخّرُ مع أوّلِ خيطِ ضوءٍ،

ويذوبُ بين أنفاسِ اللّيلِ الطويلِ.

حينَ يرحلُ مَن نُحبّ،

لا يبقى سوى صدى خُطواتِه،

نمدُّ أيدينا نحوَ الفراغِ،

فتتعبُ دون أن تمسكَ شيئًا،

ونصيرُ سُجناءَ لذِكرياتٍ مُنهكةٍ،

تُعيدُنا إلى مسرحٍ بلا أبطالٍ.

الرّحيلُ ليسَ فقط فِراقًا،

بل موتٌ صامتٌ للحياةِ،

انفجارٌ هادئٌ يشقّ الرّوحَ،

ويتركُنا أمام مرآةِ زمنٍ انقسمَ إلى نصفين.

ألمُ الرّحيلِ ليس فَقدًا فحسب،

بل اختفاءُ جزءٍ منّا،

كأنّنا نبحثُ عن ظلّنا،

في وقتٍ صارَ فيه القلبُ يتيمًا.

ورغمَ كلّ هذا الغيابِ،

ننتظرُ عودةً لا تأتي،

ونزرعُ في أرواحِنا بُذورَ الرّجاءِ،

ونمشي في متاهةِ الغيابِ،

علّ نورًا يُنقذُنا من وحشةِ الفقدِ.

الخاتمة

ها أنا أُطوي الصفحاتَ،

لا لأنَّ الحرفَ انتهى،

بل لأنَّ القلبَ اختارَ أن يهمسَ، لا أن يُكثرَ.

فالكلماتُ، وإن بدت مكتملةً،

ما هي إلّا ظلُّ مشاعرَ عميقةٍ،

ورعشةُ روحٍ أرادت أن تُرى.

كتبتُ لا لأُرضي قارئًا،

بل لأُصغي لنفسي،

لأمنحَ قلبي فسحةَ البوحِ،

وأجعلَ من نبضي حبرًا يتوهّجُ بالحياةِ.

إن كنتَ قد وجدتَ بين السطورِ شيئًا منك،

فهذا لأنّنا، وإن اختلفنا،

نلتقي في وجعٍ خفيٍّ، أو أملٍ مشتركٍ،

أو حنينٍ لا نعرفُ سببهُ.

فالخواطرُ لا تنتهي،

إنّها تتوارى قليلًا لتعودَ في هيئةِ حلمٍ جديدٍ،

أو سؤالٍ لم يُطرَحْ بعدُ.

فلنلتقِ حيثما يجتمعُ الحرفُ بالرُّوحِ،

وحيث تكتبُ الحياةُ حكاياتِها بصمتٍ،

ونقرأها نحنُ... بدهشةٍ.

المحتويات

الإهداء	
استهلال	
المقدمة	
تقديم : في ظلّ المعنى	
هَمَسَاتُ الْمَطَرِ عَلَى نَوَافِذِ الرُّوحِ	
شَجَرَةُ الْأَمَانِي فِي غَابَةِ الصَّمْتِ	
هَمْسُ الفَجْرِ بَيْنَ أَنَامِلِ الحُلْمِ	
ظِلُّ الطَّائِرِ فِي رَقْصَةِ الضَّوْءِ	
لَوْحَةُ الْغُرُوبِ عَلَى جُدْرَانِ الْقَلْبِ	
رَقْصَةُ الْأَلْوَانِ فِي زَمَنٍ بِلاَ اسْمٍ	
أُغْنِيَةُ الرِّمَالِ فِي صَحْرَاءِ الذَّاكِرَةِ	
نَبْضُ الْحَجَرِ تَحْتَ أَنْفَاسِ الرِّيحِ	
زَخَّاتُ الْحِبْرِ عَلَى صَفَحَاتِ الصَّمْتِ	
خُيُوطُ الشَّمْسِ الْمُتَسَلِّلَةِ بَيْنَ الْأَضْلَاعِ	
عُبُورُ النُّجُومِ فِي بُحَيْرَةِ اللَّيْلِ	
لُغْزُ الثَّلْجِ فِي حِضْنِ الصَّبَاحِ	
سِيمْفُونِيَّةُ الظِّلَالِ فِي غَابَةِ الأَحْلَامِ	
تَرَانِيمُ الْقَلْبِ فِي زَمَنِ الْغُرْبَةِ	
سَرَابُ الْكَلِمَاتِ فِي وَادِي الزَّمَنِ	

تَسَاؤُلَاتُ الْقَمَرِ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ	
دِفْءُ اللَّيْلِ فِي عُيُونِ الْغِيَابِ	
وَشْوَشَاتُ الْغَيْمَةِ فَوْقَ سَرِيرِ الْمَدِينَةِ	
عَبِيرُ الْخُطَى عَلَى رَصِيفِ الْأَيَّام	
هَمَسَاتُ الذِّكْرَيَاتِ عَلَى أَبْوَابِ الْغَدِّ	
صَمْتُ النُّجُومِ حِينَ لا تَنَامُ الرُّوحُ	
أَنِينُ الوَرَقِ تَحْتَ أَضْوَاءِ القَمَرِ	
الذين عادوا من الحبِّ أحياءَ	
غدًا لن يكون كما مضى	
نجاحٌ لا يُصفَّق له أحد	
ما كُتِبَ لَكِ لَنْ يُخْطِئَكِ	
القُوَّةُ الَّتِي لَا تُرَى	
الَّذِينَ يَنْهَضُونَ دُونَ أَنْ يَطْلُبُوا يَدًا	
الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الحَيَاةَ بِأَعْيُنِهِمْ	
نَجَاحٌ يَكْتُبُ قِصَّةَ تَأَلُّقٍ لَا تُنْسَى	
على حافةِ الضَّوْءِ	
حين صافَحَتْني الفِكْرَةُ	
أُنثى من شغَف	
بينَ الحرفِ والرّوح	
رحيلٌ بلا وداعٍ	
الخاتمة	

هذا الكتاب

حين ولدتْ هذه الكلمات، لم تأتِ من فراغٍ ولا رغبةٍ في قولٍ عابر، بل خرجت من صمتٍ أقمتُ فيه طويلاً، ومن نبضٍ كان يلحّ على البوح حتى لو لم أكن أجيد الصياغة كما ينبغي.

لم أكتب بالحبر، بل بشيءٍ يشبه النفس حين تختنق وتجد خلاصها في الكتابة.

هذا الكتاب ليس مجرد صفحاتٍ وضعتُها بين غلافين، بل هو وجدانٌ منثور، وأنفاسٌ سُطّرت، وحديثُ قلبٍ فاض فلم يجد غير الحروف ملاذًا.

هنا، تجدونني في لحظات انكساري وامتلائي، في ضعفي وقوّتي، في حزني حين يتخفّى خلف الكلمات، وفي أملي حين يُزهر من يبابٍ داخليّ.

لم أكتب لأكون مُعلّمة أو ناصحة، بل لأُصغي إلى صوتٍ داخليّ خافت، ظلّ يطرق أبواب الشعور حتى فُتحت.

وحين سمعتُه، رغبتُ في أن أشاركه مع من مرّ ذات مساءٍ بما يشبهني، أو من تاه في حكايةٍ تُشبه ظلي.

ربما تجدون في هذه الخواطر جزءًا منكم، أو صدى قصةٍ نسيتم ملامحها، أو حنينًا لم تدركوا له اسمًا.

اقرأوها كما يُقرأ نبضُ من نحب، لا كما تُقرأ الكلمات في كتبٍ باردة.

لامسوها كما تُلمَس أطراف حلمٍ خجول، بعينٍ تتجاوز السطور، وقلبٍ يُصغي لما لا يُقال.

رزان الرابي

لوحة الغلاف للفنان

دار الخليج للنشر والتوزيع
الأردن: عمـــــان، العبدلي تلفاكس: 35 98 935 77 00962
daralkhalij@gmail.com daralkhalij1998 daralkhalij
تتوفر أصدارتنا على: Google play
9 789923 018613

Designed By S. Alyousef